الإبداع والجدة فی کتاب البدیع لابن المعتز

صادق إبراهیمی کاوری*
رحیمة چولانیان**

الملخص

من المراحل الهامة جدا فی تطور آداب الأمم ولغاتها مرحلة التقعید، فلا تصل أمة إلی هذه المرحلة حتی یصل أدبها ولغتها إلی درجة من النضوج، لأن الغایة من وضع القواعد والمعاییر حفاظ اللغة والأدب من الوقوع فی الخطأ.

وقد قام العلماء والأدباء علی اختلاف درجاتهم واتجاهاتهم بهذا الأمر فی التألیف، فمن هؤلاء النفر عبدالله بن المعتز صاحب کتاب البدیع.

أورد ابن المعتز فی صدر کتابه الذی سماه البدیع: وما جمع قبلی فنون البدیع أحد ولاسبقنی إلی تألیفه مؤلف، ثم أضاف إلی تألیفه عنصرین هما: الجدة والإبداع، حیث کان یری کل فن بدیعی یفقد هذین العنصرین.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

الکلمات‌الدلیلیة: البدیع، الجدة، الفن، ابن المعتز.

*. عضو هیئة التدریس بجامعة آزاد الإسلامیة فی آبادان.
**. خریجة جامعة آزاد الإسلامیة فی آبادان.

تاریخ الوصول: ۱۳۸۸/۸/۱هـ . ش تاریخ القبول: ۱۳۸۸/۱۱/۲۰ . ش

المقدمة

إن التقعید فی اللغة العربیة وعلومها إنما ابتدأ یوم شَعَر الأوائل بأن اللحن بدأ یدبّ علی ألسنة العرب والمسلمین بسبب الاختلاط بین الأجناس، وتزاید حاجة الداخلین فی الإسلام إلی تعلم اللغة العربیة، وفهم القرآن الکریم، ومن ثم بدأ التقعید یتبلور فی اتجاه واسع یستغرق علوم العربیة، ویهدف إلی وضع معاییر تحفظ اللسان من الخطأ، وتعین الذوق فی إدراک الأسرار العجیبة لکلام ربّ العزة، ثم الوقوف علی ما فی الإبداع البشری من بلاغة وجمال.

ومن هذا المنطلق، نری علم البلاغة قدحاز باهتمام العلماء والأدباء الأوائل، علی تفاوت فی الدرجة بین المؤلفات الأولی وما تلتها، وقد حرصوا علی وضعها وتقدیمها بمظهر علمی کی تکون مقیاسا ومیزانا، یلتجئ النقاد إلیه فی کتاباتهم النقدیة، وکانت المصطلحات العلمیة لهذا العلم من أبرز ما اعتنوا به منذ أن کانت مفهوما لغویا عند الجاحظ وابن قتیبة الدینوری، واستوت إلی حد کبیر فی کتابات الشیخ عبدالقاهر الجرجانی، لاسیما فی کتابیه: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، ثم تطورت وأخذت شکلها النهائی علی ید السکاکی.

ومن هؤلاء الأوائل عبدالله بن المعتز الذی یراه مصطفی الشکعة، مؤلفا «یختلف عن بقیة المؤلفین والأدباء لأن المؤلف شاعر مبدع، وکاتب کبیر، وهو إلی ذلک عالم جلیل، وناقد ذواقة.» (الشکعة، ۱۹۹۸م: ۴۲۹) صاحب التألیفات العدیدة من أشهرها کتاب البدیع، فکما قیل عنه: «فهو مظهر لثقافة أدبیة واسعة، تنم عن اطلاع مؤلفه علی ما ألفه العرب فی الأدب والنقد والبیان، وخاصة ما کتبه الجاحظ فی مؤلفاته.» (نورالدین عبدالمنعم، ۲۰۰۹م: ۲۳)

یقول ابن المعتز فی صدر کتابه الذی سماه البدیع: «وما جمع قبلی فنون البدیع أحد ولاسبقنی إلی تألیفه مؤلف. وألفته سنة أربع وسبعین ومائتین، وأول من نسخه منی علی بن یحیی بن منصور.» (ابن أبی الأصبع، ۱۹۸۳م: ۳) ولکی یرصد هذه الظاهرة التی أطلق اسمها عنوانا لکتابه، والمادة اللغویة لکلمة (بدع) فی اللغة العربیة تدور حول معنی الخلق والإنشاء علی غیر مثال، ولذلک فکلمة البدیع اسم من أسماء الله تعالی: ﴿بَدِیعُ

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (البقرة: ١١٧) لأنه أوجدها من العدم.

يورد ابن أبى الأصبع فى مقدمة التحرير قائلا: «أما ابن المعتز فهو الذى سماه البديع.» (ابن أبى الأصبع، ١٩٨٣م: ٢) ومعنى ذلک أن إطلاق ابن المعتز اسم البديع على كتابه فيه إشارة سوف تصدقها قراءة الكتاب نفسه، إلى أن المعتز كان يميل إلى المذهب النقدى الذى يؤثر الخروج على الأساليب القديمة ويستحدث أساليب جديدة مبتكرة، بِكر تعبر عن روح الحاضر، وهذا هو المذهب الذى نادى به أبو نواس من قبل، وإن كان أبو نواس قد مزجه بمسحة شعوبية مقيتة تستهزئ بالعرب، وأساليبهم فى القول، وفى المعيشة.

يبدأ ابن المعتز كناية بقوله: «قد قدمنا فى أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا فى القرآن الكريم، واللغة، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة، والأعراب، وغيرهم، وأشعار المتقدمين من الكلام الذى سماه المحدثون البديع، ليعلم أن بشارا، ومسلما، وأبا نواس، ومن تقيلهم [أى أشبههم وعمل مثل عملهم] وسلک سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر فى أشعارهم، فعرف فى زمانهم حتى سمى بهذا الاسم، فأعرب عنه، ودل عليه.» (ابن المعتز، ١٩٨٢م: ١)

فلو دققنا فى هذه الفقرة لوجدنا ابن المعتز يحاول أن يشير إلى شيئين، هما على الترتيب: أولا: أن اسم البديع الذى هو عنوان الكتاب، تنطبق دلالته اللغوية، وتعرب وتدل على محتوى هذه الظاهرة التى تعرض ابن المعتز لها، أى أن المعنى اللغوى لكلمة البديع يتطابق مع المعنى الاصطلاحى (كما بينا قبل قليل) أى الابتكار، والتجديد، والخروج على المألوف والخلق، أى ما يساوى فى لغتنا المعاصرة مفهوم الإبداع أو الابتكار أو الاختراع. ثانيا: إن ابن المعتز بتصريحه بأن بشارا، ومسلما، وأبا نواس، ومن تابعهم، لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر فى أشعارهم، وبتصريحه أيضا، بأنه كان موجودا فى القرآن الكريم، وفى الشعر الجاهلى، إنما نبه إلى شىء مهم، وهو أن هذه الظاهرة المسماة بالبديع، لم تكن ظاهرة تاريخية أو اجتماعية بديلة، لما أطلق عليه الجاحظ مصطلح البيان العربى، بل هى ظاهرة فنية فردية، تتعلق بإبداعات المتحدثين فى العصور كلها دون تفريق، ومعنى ذلک أنها ليست ظاهرة لغوية بل هى ظاهرة أدبية.

وبذلک يفترق الجاحظ عن ابن المعتز فى أن الأول يعدها ظاهرة تاريخية، ترتبط بأذواق المولدين، ويجعلها ظاهرة مقابلة للبيان العربى، إذ أن البيان العربى عنده يعبر عن سليقة مفطورة فى العرب الجاهليين، تجعلهم يعبرون عن معانيهم بطرق خاصة، وتقاليد تعبيرية معنية، وأن البديع يعبر عن ذوق خاص للمولدين، يجعلهم يعبرون عن أنفسهم بأساليب جديدة على البيان العربى، فهو إن صح التعبير، بيان جديد فى مقابلة البيان العربى القديم.

من ثم فإنه حسب رؤية الجاحظ، يمكن حصر أشكال التعبير فى البيان العربى فى شواهد معدودة، وصناعة قاموس لها، ويمكن كذلک حصر أشكال التعبير البديعى، وعمل قاموس لها من خلال تتبع الاستخدامات البيانية، والاستخدامات البديعية، وهذا هو المأزق الذى وقعت فيه البلاغة العربية فى وقت لاحق بعد السكاكى ومدرسته.

ومن الجدير بالذكر، وجود الرؤية الانفتاحية التقدمية لدى ابن المعتز، حيث يدعو الجميع بعد أن قدّم البديع على أنه ظاهرة فنية، فترک الباب مفتوحا أمام الأدباء والمتحدثين، بلا حصر وبلا تحديد، فهو ليس أسلوب العصر، بل أسلوب الشاعر والكاتب، وهو تكنيک فنى، وليس قواعد نحوية، وهو رغم عدم ابتعاده عن التوظيف الدلالى إلا أن غايته جمالية لا بيانية، «فاقتدى الناس بابن المعتز فى قوله: فمن أحبَّ أن يضيف شيئا من هذه المحاسن أو غيرها إلى البديع فليفعل، فأضاف الناس المحاسن إلى البديع، وفرعوا من الجميع أبوابا أخرى... .» (ابن أبى الأصبع، ١٩٨٣م: ٧)

أما تأثير الأمان، وتغير العصر، والثقافة فقد أشار إليه ابن المعتز، ولكن لم يقل كما ألمح الجاحظ أن فن البديع قد ظهر على أيدى المولدين، بل قال نقيض ذلک، لكنه قال إن المولدين أكثروا فقط من هذا البديع وأفرطوا فيه، وهكذا يشير ابن المعتز، إلى أن التطور الفنى الذى حدث فى الأدب العربى قد انتقل من البساطة، والفطرة، والطبع إلى التعقيد، والصنعة، والتكلف.

يقول ابن المعتز: «سماه المحدثون البديع، ليعلم أن بشارا، ومسلما، وأبانواس لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر فى أشعارهم (أى المولدين) فعرف فى زمانهم ... ثم إن

حبيب بن أوس الطائى (أبو تمام) من بعدهم شغف به، حتى غلب عليه، وتفرع فيه وأكثر منه، فأحسن فى بعض ذلک، وأساء فى بعض، وتلک عقبى الإفراط، وثمرة الإسراف.» (ابن المعتز، ١٩٨٢م: ١)

فيشير ابن المعتز إلى نقطة هامة أخرى، وهى أن البديع ليس دائماً جميل، بل قد يكون جميلاً، وقد لا يكون، وتكثر عثرات الشاعر فيه إذا أفرط فى استخدامه إفراطاً شديداً كما هو الحال مع أبى تمام. فالإفراط مذموم فى كل شىء، لأنه يجعل الكلام مثقلاً، حتى الحكمة نفسها، إذا أفرط الشاعر فى الإتيان بها متراصة متلاصقة مكثفة، كما هو الحال مع صالح بن عبدالقدوس، تكون ثقيلة، وكذلک الحال مع البديع، إذا أفرط الشاعر فيه انكفأ عليه، وأصبح الفن نفسه غاية فى ذاته. (المصدر نفسه: ٢و٣)

ينتقل ابن المعتز بعد ذلک إلى نقطة أكثر تحديداً، وخطورة، وهى تفسيره لجمال البديع نفسه. لماذا يكون البديع جميلاً؟ أو كيف يكون البديع جميلاً؟!

يبدأ ابن المعتز التمثيل للبديع، بآية قرآنية، وبشطر بيت من الشعر الجاهلى، ينسب لعلقمة الفحل. الآية القرآنية هى: ﴿وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ (الزخرف: ٤) وشطر البيت: «والصبح بالكوكب الدرى منحور» وصدر البيت: «أوردتها وصدور العيس مسنفة» (مسنفة: ضامرة) وموضع البديع فى الآية فى كلمتى: أم الكتاب، وموضعه فى البيت: الصبح منحور بالكوكب، إذ يرى ابن المعتز أن هذا التعبير وذاک، بديع، أى فيه جدة، لم يسبق له، أو سبق له، لكنه لم يتحول إلى حقيقة لغوية. (ابن المعتز، ١٩٨٢م: ٢)

فعند مراجعتنا المصادر القديمة، نرى أن مفردة أم، كانت فى اللغة تطلق على أمهات الإنسان، أو الحيوان، لكن لم يؤلف إطلاقها على مجموعة جمل، باعتبارها أما لكتاب، وكذلک الأمر بالنسبة للصبح، فكلمة نحر، كانت تقال للذبح الذى هو خاص بالحيوان، لكن إن تسند كلمة منحور إلى الصبح، وأن يكون ذلک بسكين الكوكب الدرى، فهذا هو الجديد الذى لم يؤلف. لكن لو أن هناک استعارة استهلكها الناس واستخدموها باعتبارها حقيقة لغوية معتادة، ونسى الموضع المستعار منه، فإن الكلمة حينئذ أو الاستعارة لا تكون استعارة بديعية. فكلمة زمام، فى قولنا: زمام الأمر، استعارة لكنها ليست بديعاً،

وكذلک قولنا: ذروة المجد، وعلى كاهل فلان، ومحراب الفن، كلها استعارات ميتة، وليست بديعاً فی شیء، لأن عنصر الغرابة فيها قد زال، وأصبحت مألوفة معتادة. ولذلک يقول ابن المعتز: «ومثل ذلک قول القائل الفكرة مخ العمل فلو كان قال لب العمل لم يكن يديعاً.» (المصدر نفسه: ۲)

أورد السكاكی فی مفتاحه قائلا: «واعلم أن أنواع البديع كثيرة، وأول من اخترع ذلک ابن المعتز. قد جاء ابن المعتز بأنه أول من استجمع فنونه، وألّف فيها كتابا، وأوصل فنون البديع إلى خمسة فنون، هی: الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامی.» (السكاكی، ۱۹۸۷م: ۴۰۳) ولكن الأمر الهام هنا أيضا أن ابن المعتز يركّز على الجدة، فلا يدرج كل استعارة فی مجال البديع، ولا كل تجنيس، ولا كل مطابقة، بل الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة التی تتحلى ببكارة الجديد، والاغتراب، وعدم الألفة، فإذا استهللت الاستعارة، ماتت، وتحولت حقيقة لغوية معتادة لاإشعاع فيها ولا جدة. ثم يبدأ ابن المعتز فی شرح ألوان البديع، أو فنونه عن طريق تطبيق نماذج: فيبدأ بالاستعارة: متمثلا لها بقول الله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (آل عمران: ۳) و ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (الإسراء: ۱۷) و ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مريم: ۱۹) و ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ (الحج: ۲۲) و ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ (يس: ۳۶) ثم يأتی بأمثلة من الحديث النبوی الشريف، ثم بأقوال من كلام الصحابة، ثم يختم ذلک بأمثلة من الشعر الجاهلی، ثم الإسلامی، ثم من أشعار المحدثين وكلامهم.

الملفت للنظر فی رأی ابن المعتز للاستعارة، هو أنه «ذكر بعقب الاستعارة الجيدة، طائفة من الاستعارات الرديئة، وبذلک سَنّ للبلاغيين بعده أن يتحدثوا عن العيوب التی وقعت فی بعض الفنون البلاغية.» (ضيف، ۲۰۰۵م: ۷۰)؛ مثلا أنه يرى أن الرتابة، والألفة تذهب بجمال الاستعارة، ويرى أن اغترابها الشديد أيضاً يذهب برونقها.

عندما يتكلم عن اللون الثانی أو المجانسة كما يقول ابن رشيق (القيروانی، ۱۹۸۲م: ۳۵۴) يبيّن كذا: «وهو أن تجیء الكلمة تجانس أخرى فی بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها فی تأليف حروفها... فمنه ما تكون الكلمة تجانس أخرى فی تأليف

حروفها، ومعناها ويشتق منها، مثل قول الشاعر: يوم خلجت على الخليج نفوسهم. أو يكون تجانسها فى تأليف الحروف دون المعنى، مثل قول الشاعر: إن لوم العاشق اللوم.» (ابن المعتز، ١٩٨٢م: ٢٥)

ثم يورد أمثلة من القرآن الكريم، وأمثلة أخرى من كلام الصحابة، ومن الشعر الجاهلى، والإسلامى، ومن كان المولدين وأشعارهم، ويشير ابن المعتز أثناء إيراده للأمثلة إلى أن بعض التجنيس يأتى بكراً جديداً لا تقليد فيه، وبعض آخر من التجنيس مسروق.

عندما ندقق فيما أورد ابن المعتز من شواهد لهذا اللون، نصل إلى أنه يرى أن التجنيس أيضاً قد لايكون بديعاً، بل مقلداً، ومسروقاً كما هو الشأن مع الاستعارة، إذ يتحول فى هذه الحالة إلى قالب لغوى محفوظ، لاجدة فيه، ولايشعر القارئ، أو السامع له بالغرابة، والطرافة. وفى آخر حديثه عن هذا اللون يورد ابن المعتز أمثلة للتجنيس المعيب.

وأما اللون الثالث فهو المطابقة، يسير ابن المعتز فى إيراده للأمثلة على السير نفسه الذى ساره فى الألوان البديعة السابقة، بحيث يبدأ بآيات من القرآن الكريم، ثم بالأحاديث النبوية الشريفة، ثم كلام الصحابة والتابعين، ثم شعر الجاهليين، فالإسلاميين، ويختم ذلک كله بكلام المولدين، وأشعارهم. ثم يورد المعيب من المطابقة فى الكلام، والشعر. (المصدر نفسه: ٣٦)

اللون الرابع الوارد هو (رد أعجاز الكلام على ماتقدمها): وينقسم رد أعجاز الكلام على ما تقدمها – كما أورده ابن المعتز – إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما يوافق آخر كلمة فيه، آخر كلمة فى نصفه الأول، مثل قول الشاعر:

تلقى إذا ما الأمر كان عرمرما　　فى جيش رأى لا يفل عرمرم

الثانى: ما يوافق آخر كلمة منه، أول كلمة فى نصفه الأول، كقول الشاعر:

سريع إلى ابن العم يشتم عرضه　　وليس إلى داعى الندى بسريع

الثالث: ما يوافق آخر كلمة فيه، بعض ما فيه، كقول الشاعر:

عميد بن سليم أقصدته سهام الموت وهى له سهام

ويرى ابن المعتز أن إتيانً هذا النمط من الإيقاع اللغوى إنما يكون بديعاً جميلاً إذا جاء اتفاقاً، فقد صرح مع كل مثال من الأمثلة التى ضربها للأنواع الثلاثة السابقة، بتكرار عبارة: (ما يوافق) للإشارة إلى أن الذى يأتى تعسفاً فهو مشين، ومتكلف. ومثلما صرح ابن المعتز بأن الاستعارة، والتجنيس، والطباق قد جاءت فى الشعر الجاهلى، وفى القرآن الكريم، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه يصرح أيضاً بأن هذا الفن أى (رد العجز على ما تقدم من الكلام) قد ورد فى الشعر الجاهلى، وفى القرآن الكريم، وفى الحديث النبوى الشريف. (المصدر السابق: ٥٣)

وأما اللون الخامس الذى تحدث عنه ابن المعتز فهو المذهب الكلامى. يصرح ابن المعتز أن هذا الاسم أطلقه عليه الجاحظ، ويصرح أيضاً بأنه باب، لم يرد منه شىء فى القرآن الكريم لأنه متكلف. طبعا يقصد بالمذهب الكلامى: التفلسف، أى استخدام القضايا الفلسفية، والمنطقية فى الكلام أو فى الشعر.

هذه الفنون الخمسة هى التى ضمنها ابن المعتز فى كتابه على صورته الأولى التى ألفها سنة أربع وسبعين ومائتين. لكنه عاد إليه مرة أخرى، فأضاف إليه فنونا أخرى من البديع بأسلوب مختلف فى العرض والمعالجة، وفى الهدف أيضاً، فإذا كان قد صرح فى مقدمته الأولى، بأن هدفه هو إثبات أن البديع لم يكن مستحدثاً، بل سبق إليه القدماء لهذا يؤكد فى أقواله على (ما جمع قبلى) و(لم يقل ما تكلم أو أتى قبلى).

فابن المعتز نفسه لم يكن مصراً إصراراً باتاً على أن يتخذ المؤلفون بعده هذا الأسلوب فى هذا التقسيم الخماسى، بل يقول: «فمن أحب أن يقتدى بنا، ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع، ولم يأت غير رأينا فله اختياره.» (المصدر السابق: ٣٤) ولكن لم يفعل المحدثون شيئاً، سوى أنهم أكثروا منه (سنأتى بما أضافه المحدثون)، إذا كان قد فعل ذلك فى بداية الكتاب فى صورته الأولى، فإنه فى مقدمة الإضافات الجديدة يؤرخ للكتاب، ويبدو أنه قد عانى من فقد اللغويين له، فهو يقول بعد أن يذكر المعاندين، والمعترضين، ومنكرى الفضائل،

وأقاویلهم: «البدیع اسم موضوع لفنون من الشعر یذکرها الشعراء، ونقاد المتأدبین منهم، فأما العلماء باللغة، والشعر القدیم فلا یعرفون هذا الاسم، ولا یدرون ما هو.» (المصدر السابق: ۵۸)

وهکذا، وبهذه الجمل قد أزاح ابن المعتز عن المؤلفین الآتین بعده أیَّ مانع فی إتیان، وإضافة الشئ الجدید إلی ما قدّمه فی کتابه، وإن کان یقول: «وما جمع فنون البدیع، ولاسبقنی إلیه أحد ونحن الآن نذکر بعض محاسن الکلام، والشعر، ومحاسنها کثیرة، لاینبغی للعالم أن یدعی الإحاطة بها حتی یتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه.» ثم یورد أمثلة کثیرة لفنون أخری للبدیع تضاف إلی الفنون الخمسة السابقة.

وأما الفنون التی أضافها ابن المعتز إلی کتابه فهی: ۱. الالتفات ۲. الاعتراض ۳. الرجوع ۴. حسن الخروج ۵. تأکید المدح بما یشبه الذم ۶. تجاهل العارف ۷. الهزل الذی یراد به الجد ۸. حسن التضمین (المعروف حدیثاً بالتناص) ۹. التعریض، والکنایة ۱۰. الإفراط فی الصفة ۱۱. حسن التشبیه ۱۲. إعنات الشاعر نفسه فی القوافی وتکلفه ما لیس له ۱۳. حسن الابتداء.

وقد أتی المؤلفون بعد فتوی ابن المعتز الأدبیة هذه، فی فتح باب الاجتهاد الأدبی أمامهم عندما قال: «فمن أحب أن یقتدی بنا، ویقتصر بالبدیع علی تلک الخمسة فلیفعل، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غیرها شیئاً إلی البدیع، ولم یأت غیر رأینا فله اختیاره.» فنجد أن معاصره قدامة بن جعفر جمع عشرین فناً، توارد هو وابن المعتز علی سبعة منها، واستقل بثلاثة عشر، فکان المجموع لفنون البدیع بینهما ثلاثین فناً، ثم أضاف أبوهلال العسکری فی الصناعتین سبعة فنون أخری، (أصبحت ۳۷ فناً) ثم صاحب العمدة، ابن الرشیق أضاف ثمانیة وعشرین، (أصبحت ۶۵ فناً) وأضاف شرف الدین التیفاشی خمسة، فأوصلها إلی السبعین فناً فی کتابه البدیع، حتی جاء ابن أبی الأصبع فی کتابه تحریر التحبیر، وهو أول کتاب اشتمل علی النقل والنقد معاً، بعشرین فناً آخر فبلغت التسعین،ثم ابن منقذ زاد خمسة فجعلها ۹۵ فناً (کتاب التفریع فی البدیع)، إلی أن انتهی المطاف بصفی الدین الحلی، واستوت هذه الفنون علی سوقها فزاد خمسة وأربعین فناً، فأوصلها إلی مائة وأربعین فناً، أوردها فی شرح الکافیة البدیعیة.

النتيجة

إن ابن المعتز، من خلال هذا الكتاب، أديب موسوعى، ذو ثقافة واسعة، وذو ذوق سليم، قد أورد شواهد عدة من عيون الشعر العربى، والشواهد القرآنية، والحديث النبوى، وبلغاء العرب، أضف إلى ذلک معرفته بما قدمه السابقون فى هذا المجال من أمثال: الخليل، والأصمعى، والثعلب، وغيرهم.

يحاول أن يمنح كتابه طبعاً جديداً، حيث لم يكن يقصد بكتابه البديع، دراسة اللغة، ولايريد أن يجعله فى إطار لغوى، بل يرى أنه مبحث أدبى جمالى، رغم أنه لا يفرق فى بحثه بين الكلام، والشعر، والقرآن الكريم، فكل الكلام موضوع للبحث البديعى عند ابن المعتز.

نراه فى هذا الكتاب رجلاً يسعى وراء أن يكون دقيقًا ومنهجيًا فى ما يقدمه، ولعل لهذا السبب قد أورد بروكلمان فى تاريخ الأدب العربى واصفاً كتابه هذا، بأنه أول بحث منهجى فى الشعر فى اللغة العربية.

إنه يرى أن محاسن الكلام كثيرة (لا ينبغى للعالم أن يدعى الإحاطة بها) وهذا ما يؤكد قولنا السابق، من أن ابن المعتز، كان يرى البديع ابتكارات فردية، وليس صياغة جماعية أو أسلوب جماعى للعصر.

يحظى كتاب ابن المعتز هذا، كما أشرنا فى أكثر من مكان، بالإبداع، والجدة فى أسلوبه، وطريقة تقديمه بعيدا عما سلكه المؤلفون السابقون له.

پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن أبى الأصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر. ١٩٨٣م. *تحرير التحبير صناعة الشعروالنثر*. تحقيق: حفنى محمد شرف. القاهرة: مطبعة لجنةإحياء التراث الإسلامى.

ابن المعتز، عبدالله. ١٩٨٢م. *البديع*. تقديم: أغناطيوس كراتشفوسكى. بيروت: دارالمسيرة.

الحلى، صفى الدين. ١٩٨٢م. *شرح الكافية البديعية*. تحقيق: نسيب نشاوى. دمشق: مجمع اللغة العربية.

السکاکی، أبویعقوب. ۱۹۸۷م. *مفتاح العلوم*. ضبط وتعلیق: نعیم زرزور. بیروت: دارالکتب العلمیة.
الشکعة، مصطفی. ۱۹۹۸م. *مناهج التألیف عند العرب*. بیروت: دار العلم للملایین.
ضیف، شوقی. ۲۰۰۵م. *البلاغة تطور وتاریخ*. القاهرة: دارالمعارف.
القیروانی، ابن رشیق أبو علی الحسن. ۱۹۸۲م. *العمدة فی محاسن الشعر وآدابه ونقده*. تحقیق: محمد محی الدین عبدالحمید. بیروت: دارالجیل.
نورالدین عبدالمنعم، محمد. ۲۰۰۹م. *البلاغة العربیة وأثرها فی نشأة البلاغة الفارسیة*. القاهرة: لانا.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی